السوريون في الولايات المتحدة

(٦)

احوالهم الدينية

الناس عموماً والسوريون خصوصاً يتشبثون بمعتقداتهم ومنشآتهم الدينية اكثر من تشبثهم بما سواها من المذاهب والمؤسسات الاجتماعية والعمرانية . فهم يرضون بترك آرائهم الاقتصادية ومبادئهم السياسية وبتبديل لغتهم الوطنية قبل ان يرضوا بالاقلاع عن معتقد دينهم حتى ان بعضهم يصرُّون على التنبس والتظاهر به والاستمرار في الانضمام الى الفئة التي تنتمي اليهِ بعد ان تكون اركان ذلك المعتقد قد تزعزعت من اذهانهم او تقوَّضت .

فمسألة الدين في اعتبار السوري ليست مسألة عقلية روحية فقط بل وطنية قومية . ولهذا نرى السوريّ في الولايات محافظاً كل المحافظة على الطائفة التي وُلد فيها سواء كانت عقيدتهُ الدينية لم تزل على اتفاق وانطباق مع تعاليم تلك الطائفة ام لم تكن . فلا عجب اذن اذا رأيت السوري يحمل كنيستهُ معهُ اين اقام في الولايات المتحدة ولا ترى بلدة فيها خمسون عائلة سورية فما فوق من طائفة واحدة ليس فيها كنيسة شرقية لتلك الطائفة

فللموارنة وعددهم نحو المئة الف نفس ٣٢ كنيسة و٣ رسالات روحية و٣٩ كاهناً وللروم الارثوذكس وعددهم يناهز الثمانين الفاً ٣٠ كنيسة و١٣ رسالة روحية و٤٧ قسيساً . وللروم الكاثوليك ١٤ كنيسة و٥ رسالات و٢١ قسيساً وللبروتستانت ٣ كنائس ورسالتان و ٥ وعّاظ . وستجد ذلك مفصلا في الجداول التابعة

﴿ الموارنة ﴾ اول كاهن ماروني دخل الولايات للاقامة فيها والخدمة الروحية هو الآب بطرس قرقاز وذلك في شهر آب (اغسطس) من عام ١٨٩١ . وكان قد سبق فزار الولايات قبلهُ اثنان او ثلاثة من الكهنة الموارنة قصد جمع الاحسان . وانتخب الاب قرقاز مدينة نيويورك مقرًّا لهُ . وعقبهُ فيها سنة ١٩٠٤ الخوري فرنسيس يواكيم . ومن الفقرة التالية من رسالة كتبها الخوري

يواكيم باللغة الانكليزية تتحلى علاقة الكهنة الموارنيين في الولايات بالسلطة الكاثوليكية العليا في اميركا ورومية ولبنان وهي : « واطلعني غبطتهُ (البطريرك الماروني) على رسالة من رئيس اساقفة نيويورك يذكر فيها ان القطيع السوري في نيويورك قد اصبح بحيث لا يستطيع خادم واحد على القيام بخدمتهِ الدينية ويطلب راعياً آخراً . . . ولم يكن من موجب للتعريج على رومية واستئذانها لان الاستدعاء جاء من رئيس اساقفة نيويورك راساً . لذلك توجهت توًّا الى نيويورك ولما مثلت بين يدي السنيور فارلي (رئيس الاساقفة) قدمت اليهِ كتاب البطريرك فالتفت اليَّ بعد الاطلاع عليهِ قائلاً ان غبطتهُ يطريء حسن عملك ومجهوداتك التبشيرية في لبنان . ولي الثقة انك تجيد صنعاً هنا كما اجدت هنالك . ومن الآن امنحك سلطة الرعاية في هذه الابرشية » . ومنها يتضح ان الكهنة الموارنيين في الولايات المتحدة خاضعون للاساقفة الكاثوليك من الاميركان وتحت مطلق سلطتهم

﴿الارثوذكس﴾ بناء على طلب ابناء هذه الكنيسة في الولايات المتحدة ارسل المجمع المقدس المسكوني سنة ١٩٨٥ الخوري رفائيل الهواويني الذي كان يومئذٍ تلميذاً في روسيا اسقفاً على الكنيسة السورية الارثوذكسية في اميركا الشمالية . فجعل مقامهُ في بروكلين واحكم عرى الارتباط بين كنيستهِ وبين الكنيسة الروسية . وبقيت الحال على ذلك الى ان توفي عام ١٩١٥ وانتخب خلفاً لهُ السيد افتيموس عفيش سنة ١٩١٧ فرغب الكثيرون من ابناء الابرشية في الانفصال عن الكنيسة المسكونية لاسيما وان احوال روسيا كانت ولم تزل مضعضعة ورأوا الانضمام الى الكنيسة الانطاكية في سوريا . ولما لم يتفقوا مع الفريق الآخر من ابناء كنيستهم اعلنوا تعيين الاسقف جرمانوس شحاده مطران بعلبك الذي كان زائراً في الولايات رئيساً دينياً لهم . وعادوا الى ما كانوا عليهِ قبل ذهابهم الى الولايات تحت ادارة بطريرك الكنيسة الارثوذكسية الانطاكية

﴿ الروم الكاثوليك ﴾ الروم الكاثوليك اول من استقدم كاهناً سورياً الى الولايات المتحدة وهو الخوري ابرهيم بشاوائي . وذلك سنة ١٨٩٠ باذن خصوصي من رومية . والكهنة الكاثوليك كالكهنة الموارنيين هم تحت طاعة الاساقفة الاميركان الكاثوليكيين

﴿ البروتستانت ﴾ ليس لهؤلاء سوى ثلاث كنائس منظمة في بروكلين وقال زفر وبتسبرغ لكل منها واعظ يكرس وقته للخدمة الدينية . ولهم في اربعة اماكن غيرها اشخاص غير منتظمين للعمل الديني يقيمون الصلاة في قاعات مأجورة او في كنائس اميركية . ومن السوريين ستة قسوس لهم رعايا اميركية

ومما يستحق الذكر ان ابناء هذه الطائفة لا يلقون من اهتمام البروتستانت الاميركان ما يلقاهُ ابناء الطوائف الكاثوليكية من الكاثوليك الاميركيين. فيعود بعضهم الى الطائفة التي كان منها قبل ان اعتنق المذهب الجديد . وسبب ذلك تعدد الشيع البروتستانية في الولايات المتحدة بحيث يصعب على احداها ان تشعر بالمسؤولية والواجب نحو البروتستانت السوريين لاسيما وانهم ليسوا من اعضاء احدى الشيع الاميركية بل من كنيسة سورية انجيلية

وبما ان سوريا موقعها بالاكثر في منطقة المجمع التبشيري المشيخي (Presbyterian) اخذت بعض الكنائس المشيخية تتقرب من السوريين الانجيليين وتعد كنائسهم بالاسعاف . ففي بروكلين اقامت لهم ناديًا ادبيًا روحيًا وفي سنت لويس عينت أرمنيًا يحسن العربية لخدمة الارمن والسوريين . وفي كليفلند رأيت في قائمة اعضاء كنيسة واحدة اميركية عشرة اسماء سورية

﴿ المسلمون ﴾ في الولايات المتحدة نحو ٨٠٠٠ مسلم وليس لهم جامع في كل البلاد ولا امام يؤمهم . ولكن لهم في كليفلند وديترويت وأكرن ونيويورك غرفًا في بيوت يجتمعون فيها للصلاة ويؤمهم واحد منهم

﴿ الدروز ﴾ الدروز كالمسلمين يحافظون ما استطاعوا على فروض دينهم ولكن لا يظهر للعموم تعلقهم برسوم دينهم الاَّ في جنازتهم. وهم يقرُّون بالوحدة لتاجر مثري منهم يقيم في سنت جوزف مزوري . ولشبيبتهم جمعية اسمها « الباكورة الدرزية » تأسست سنة ١٩٠٧ في سياتل وشتطن ولها خمسة فروع في كليفلند وديترويت وبت متانا Butte, Mon. وأكرن وترفلك (وست ڤرجينيا). ورئيس الجمعية طالب طب في شيكاغو ذكر لي في العام الفائت انهُ لا يعرف سوى ثلاث نساء درزيات في الولايات مع ان عدد الدروز هناك يبلغ الفاً. وزاد على ذلك ان مسألة المجيء بالنساء هي من اهم مشاكل الدروز المهاجرين وان الاكثرين يقولون

بعدم جوازه لئلاَّ تتورط قدم جاليتهم في الوطن الجديد فيفقدون بذلك قوميتهم

﴿ النُصيرية ﴾ يكثر عدد هؤلاء في نيوكاسل بنسلفانيا حيث يقيم نحو من ٢٥٠ نفساً منهم يعملون في المعامل والمناجم. ولهم شيخ يزور ابناء طائفته المتفرقين في انديانا وكونتيكت ووست فرجينيا

﴿ اليهود ﴾ لقد اغفلنا امر اليهود في هذا البحث لانهم في الولايات المتحدة يلتصقون بابناء دينهم من البلدان الاوربية ولا يكوّنون جزءاً من الجالية السورية

﴿ المشكلة الدينية ﴾ هل تتمكّن الكنائس الشرقية من ابقاء سلطتها محكمة على اذهان الناشئة الجديدة في عالمٍ يعتبر الدين اقتناعاً عقليًّا روحيًّا لا صبغة قومية او وطنية وتكثر فيه المذاهب الطبيعية والمادية ؟ ذلك سؤال يتوقف جوابهُ على مقدرة تلك الكنائس على التكيف بموجب مقتضيات القوم الجديدة

ويظهر لنا من مراقبة سير الامور ان الكنائس الشرقية للآن لم تجد صعوبة في ابقاء الجيل القديم ضمن حظيرتها ولكنّ الحال على غير ذلك في النشء الجديد. ومع اننا لا نلقى سوريًّا واحداً يجاهر بان لا دين لهُ او يفاخر بشكوكهِ شأن الكثيرين من البوهيميين واليهود فمع ذلك نرى العديدين من فتياتنا معرضين عما يتعلق بالدينيات لا يهمهم امرها ولا يكترثون لها

ولا يخفى ان المهاجر لاسيما في اول عهد غربتهِ هو في حالة روحية عقلية غير معهودة. النواهي والقيود التي كان لها على نفسهِ في وطنهِ القديم تأثير محكم يصبح فعلها فيهِ وهو مهاجر ضعيفاً . والمبادىء الادبية التي يعمل القوم بها في مقامهِ الجديد لم تتمكن للآن من نفسهِ . فهو بين بين وعلى برزخ بين عالمين مفلت من الربط القديمة العائلية والكنسية والقومية وغير مقيد بالربط المحيطة بهِ . فلا هو شرقي معروف ولا اميركي عريق . ومما يزيد الامر خطارة ان الادبيات في ذهن الشرقي مرتبطة ابداً بالدينيات فان تزعزعت هذه تداعت تلك الى السقوط وان تقوّضت الثانية لم يبقَ للاولى اثر

﴿ مستقبل الكنائس ﴾ لا نرى للكنائس الشرقية في الولايات المتحدة ولا لكل المنشآت القائمة على غير اللغة الانكليزية مستقبلاً مستقلاً اذ ان قوامها بالاكثر على المستجدّين من المهاجرين وما هؤلاء بنبع دائم لا ينضب معينهُ . فان

اتخذت سنة النشوء سيرها المعتاد فلا بد اخيراً للموارنة والروم الكاثوليك من الاندغام في جسم الطائفة الكاثوليكية الاميركية . وللبروتستانت من الاتصاق بالانجيليين الوطنيين . وللروم الارثوذكس من الالتحاق بالكنيسة الاسقفية التي تعتبر نفسها بروتستانية باعتبار عدم خضوعها للكرسي البابوي وكاثوليكية باعتبار محافظتها على الاسرار والطقوس وبذلك تحاسن الكنيسة الارثوذكسية

والذي يرقب حركة الكنائس المسيحية في العالم يعلم ان الكنيسة الاسقفية ما فتئت من مدة طويلة تتقرّب الى الكنائس الارثوذكسية في روسيا واليونان والبلقان وتحاول احكام عرى التفاهم معها . اما في الولايات المتحدة فلها اهتمام خصوصي بالارثوذكس وهي تشمل الارثوذكس السوريين في دليلها السنوي

ويؤخذ من تقرير رفعهُ ارشديكون استفي في ولاية اكلاهوما يكثر في منطقتهِ عدد العمال السوريين في الآبار الزيتية انهم هم الوحيدون من الاجانب الذين يرسلون اولادهم الى مدرسة الاحد . وفي كتاب اصدرتهُ الكنيسة الاسقفية منذ عامين بعنوان « جيراننا » (١) ان الارثوذكس من السوريين ينظرون الى هذه الكنيسة نظرة المحبة والاحترام ويطلبون من قسها في بعض الاحيان ان يفتحوا لاولادهم مدارس احدية . ويذكر الكتاب ان اسقف نيوهمشير يقدم مساعدة مالية لمن رام من التلامذة السوريين الدخول في مدرستهِ وانهُ سعى في خلال الحرب عند الحكومة الاميركية لتقديم الخدمة الروحية اللازمة للارثوذكس السوريين في الجيش الاميركي

اما مصير الموارنة والبروتستانت فواضح حتى انك لا تجد عائلة مارونية مقيمة في بلدة لا كنيسة مارونية فيها يعرف ابناؤها شيئاً عن مارونيتهم وعندهم ان الكنيسة الرومانية والكنيسة المارونية اسمان لمسمّى واحد . ولما زار الولايات احد اساقفة الطائفة المارونية في العام الماضي وهو اول اسقف ماروني دخل الولايات استطلعتهُ رأيهُ في هذا الشأن فسلّم بصحة ما قلت واستدرك بقولهِ « ما لم تبادر الطائفة وتعين اسقفاً لها في الولايات »

(1) "Neighbors, Studies in Immigration from the Standpoint of the Episcopal Church." ص ٦٧

الخاتمة

هل يرجع المهاجرون من الولايات المتحدة ؟ اذا كان لا بد من حصر الجواب بكلمة واحدة . فالجواب كلا

لا شك ان بعضهم يعود لاسباب صحية او دواعٍ عائلية واقل منهم لاغراض تجارية او صناعية ويزداد عدد هؤلاء الاخيرين بازدياد تحسن احوال البلاد السورية ولكن النتيجة العمومية التي لامناص منها ان جمهورهم باقٍ حيث هو مسيَّرٌ بقوة هائلة لا استطاعة لهُ على مقاومتها تجرفهُ الى حيث يبتلعهُ المحيط الجديد فيمن ابتلع ويبتلع من الشعوب والامم

وما ذلك بالشر غير الممزوج بالخير كما يمكن ان يتبادر الى الاذهان . والرصيد في جانب الربح للوطن القديم وللوطن الجديد وللعالم اجمع . فبوجود السوريين هناك يتسع لغيرهم مجال الاقامة هنا وتتسرَّب منهم افكار جديدة وآراء حديثة واموال يستثمرها المتخلفون وينتفعون بها . وربَّ رجل نفع بلادهُ بالابتعاد عنها اكثر من البقاء فيها شأن الكثيرين من البولشفيين والبوهيميين المهاجرين الذين لولاهم لما بَسمت بلادهم بعد ان كانت قد دُفنت حية منذ سنين طال امدها . ومما لا ريب فيهِ ان تفوُّق الولايات المتحدة تفوُّقاً لم يشهد العالم التجاري الصناعي لهُ مثيلاً في تاريخ نشوئهِ ماكان في حيز الممكنات لولا عرق المهاجرين وعضلات الغرباء وادمغة الاجانب من سوريين وغير سوريين . واذا خسرت بلاد شيئاً من موادها الاولية في صورة رجال ونساء وتناولتهم بلاد اخرى وصقلت ما فيهم من المواهب الفطرية واظهرت ما لديهم من القوى الطبيعية الكامنة فيكون الرصيد ربحاً للعالم لا خسارة

نعم ان السوريين في الولايات المتحدة يحرمون هواء لبنان النقي ومياههُ العذبة ومناظر سورية البهجة ويعدمون فضائل ملازمة لحياة البساطة ويخسرون عيشة الخلاء وساعات الفراغ ولكنهم يستعيضون من كل ذلك اضعافاً بما يتموَّدونهُ من الجهاد والاقدام ويتلقنونهُ من طرائف العصر الحديث ويتمتعون ببركات مدنية خلاَّبة لم يسبق للعالم ان رأى مدنية تفوقها ايناعاً وزهاء يعيش المرء في اسبوع واحد منها اكثر مما يعيش في الشرق في عام كامل . على ان المهم

من امر الحياة انما هو سمتها لا طولها رئيس السؤال في امرها كم من السنين يعيش المرء بل كيف يعيشها

فلندعُ بطيب الاقامة للسوريين المهاجرين الذين يسطرون باسمنا في العالم الجديد صفحة من التاريخ مجيدة ويثبتون للملا ما يمكن للسوري ان يصل اليهِ اذا تهيأت لهُ الوسائل المساعدة. ولتبقَ ربط الاتصال معهم حية مكينة اذ ان نجاحهم يسرُّنا وشقاءنا يؤلمهم . انتهى فيليب حتي

نعوم بك شقير

عرفت المرحوم المأسوف عليهِ الطيب الذكر والاثر نعوم بك شقير منذ نحو سنتين حين انتدبتُ لاتولّى ادارة القسم العربي في المدرسة العبيدية في القاهرة وكان هو عضواً في مجلس ادارتها فكنت في كل هذه المدة على اتصال دائم بهِ لا يمرّ يوم بدون ان اراهُ او اجلس اليهِ او اماشيهُ الى مكتبهِ او منزلهِ . عرفتهُ فوجدت فيهِ الخل الوفيّ بل وجدت فيهِ ذلك الرجل الذي كان يفتش عنهُ ديوجينوس في اثينا ولم يجدهُ . . من الناس من لا تستطيع ان تعرفهُ في الزمن الطويل واذا حسبت انك عرفتهُ فلا تلبث ان تشعر انك تجهلهُ كانهُ معمًّى لا تحلُّ رموزهُ ولا تجلي غوامضهُ او الزئبق الرجراج لا يستقر على حال من القلق. واذا استأنست بهِ فلا تلبث ان تستوحش منهُ . واما المرحوم نعوم بك فقد كان وجههُ عنوان قلبهِ فاذا عرفتهُ لاول مرة فقد عرفتهُ كل المعرفة وفي اي حال اتيتهُ انست بهِ واغتبطت بلقائهِ وهذا من جملة الاسباب في اجماع الناس على محبتهِ واستعظام الخطب فيهِ . . . واني احاول في هذه الكلمة ان اقدم عنهُ صورة اجمالية تمثله كرجل والرجال قليل

لم يكن رحمهُ الله من اولئك الذين اذا اصابوا عملاً يعيشون منهُ اطمأنوا الى القعود واسترخاوا امهاد الراحة فلا يلبثون ان يضطرب لحمهم ويتفشى شحمهم ويعودوا لا يطيقون حراكاً واذا مشوا فوئيداً كأنهم يجرون انفسهم جرًّا . . . ولكنهُ كان الى ان ادركتهُ الوفاة وقد شاب اترابهُ كالهيكل المبني لا يمشي الاَّ